

الرأي العام في القرن الثالث الهجري^(*)

مراجعة محمد السماك

يعتبر المؤلف عن حق أن القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - من أخطر حقب التاريخ الاسلامي لما يزخر به من الأحداث والتناقضات والسلبيات. كما انه يكاد يقتصر على بغداد باعتبارها حاضرة الدولة العباسية وشريحة غنية بالأحداث وجامعة لكل شاردة وواردة (ص ٥).

ينطلق المؤلف في دراسته التي تتألف من مقدمة وخمسة فصول تقع في ٢٧٢ صفحة، من التأكيد على «أن المجتمع العربي - الاسلامي لم ينفك خلال قرون عديدة عن مناقشة وبحث أخطر المسائل التي تدخل ضمن دائرة المعرفة الانسانية، وهذه الاحداث والمسائل سواء أكانت سياسية أو دينية أو اجتماعية تمدنا بنماذج عديدة تساعدنا على فهم اتجاهات ومواقف الرأي العام الاسلامي». ينحصر المؤلف القسم الأول من الفصل الأول لتعريف الرأي العام، أنواعه، نشأته في الاسلام وتطوره، ثم مفهوم الرأي العام في الاسلام. وهو يرى أن الرأي العام يتمثل في الاسلام بتعابير شائعة آنذاك كالاجماع والرأي والقياس، والاستحسان، والاستصلاح والجماعة والأمة والأكثرية، وشرع ما قبلنا.

(*) الرأي العام في القرن الثالث الهجري ١٩٨ - ٢٩٥ هـ . ٨١٣ - ٩٠٧ م . د. عادل محي الدين الالوسي . عن دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٨٧ .

وقد تناول ذلك بالتفصيل في دراسة فقهية . وينقل عن (أحمد أمين)^(١) قوله أن الرأي العام في الاسلام لم يكن وليد فترة زمنية محددة بل أن بعض صوره لا تخلو من ملامح قومية تعارف عليها العرب قبل الاسلام .

يرى المؤلف أن الرأي العام العربي قبل الاسلام تبلور من خلال بعض المؤسسات القبلية كمجلس المثلأ أو مجلس شورى القبيلة (ص ٢٢) إلا أن الاسلام هدم شكل القبيلة والاسرة المعروف آنذاك ومحا منه الشخصية الفردية والموالاة والجماعات المخالفة (ص ٢٤) .

ويشكل منصب الخلافة الذي شغل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هاجس الناس الاول، إلا أن مجيء الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بطريقة شرعية مطابقة لمبدأ الانتخاب والشورى قد أرضى الجمهور الأعظم من المسلمين وصار هذا الانتخاب تقليداً سارت عليه الخلافة الراشدة (ص ٢٥) وفي العصر الأموي ظهرت طريقة أخرى لنصب الخليفة ومن بعده اطردت فأصبحت عادة هي أن يعين الخليفة الحاكم خليفة أو ولي عهد (ص ٢٥) ويعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من استحدث نظام الوراثة في الخلافة . هذه الاجراءات والمستحدثات لم ترق جمهور المسلمين (ص ٢٥) . وهكذا نرى أن مسألة الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ وما تلاحق من صراعات ومناورات استهدفت السلطة بالدرجة الأولى (ص ٢٦) .

وفي القرن الثالث الهجري تعاظمت قوة الرأي العام الاسلامي الذي ضم الفئات المرفهة التي تشكو التخمة (بنى المتوكل لابنه أبي عبدالله المعتز بالله قصراً في قادسية سر من رأى وبينه وبينها أربعة فراسخ بمبلغ خمسة وعشرين مليون درهم ص ٦٨) وتلك التي تعيش على الكفاف (تعرض أفراد الفئة المثقفة لظروف معاشية قاسية، وبخاصة الأدباء والمتنورون الذين رفضوا تزيف الكلمة وارتضوا القناعة التي لم تغنهم عن جوع أو عطش حتى عمد بعضهم إلى حرق كتبه . . ص ٧٣) .

دراسة المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري التي يقدمها المؤلف في الفصل الثاني من الكتاب تحدد سمات هذا المجتمع وطبقاته المتعددة.

يجد المؤلف أن الرأي العام في هذا العصر يتمثل في التنظيمات السياسية والحركات الدينية والثورات ورجال الأدب والفن والفكر، وكذلك في الطوائف والكتل الاجتماعية المتنوعة (ص ٥٤). وقد صنف هذه الجماعات على أساس مواقفها من السلطة والنظام الاجتماعي القائم آنذاك.

فكان المؤيدون والمبررون الذين يتمثلون في الطبقات والفئات المنتفعة، وفي فرقة الجبرية ومن يقول بالارجاء، وكذلك معظم من يسمون بفلاسفة الاسلام ممن أقر الحكم الفردي والطبقية والرق، وإبقاء الملكية الفردية بلا حدود (ص ٥٤).

وكان المعارضون، ومنهم الثوار (بقية الخوارج واتجاهات بعض طوائف الشيعة، والنظريون مثل اخوان الصفا، والفوضويون كالعيارين والشطار). وبين هؤلاء وأولئك، كان المعتزلون للصراع طلباً للخلاص الفردي مثل الزهاد والصوفية.

إلى ذلك، كان هنالك انقسام المجتمع الاسلامي أو الأمة الاسلامية على نفسها ويتمثل ذلك في الأنبياء الجدد (مدعي النبوة) وحركة الردة والصراع على الخلافة (ص ٥٥) ابتداء بمؤتمر السقيفة ثم مجلس الشورى، والفتنة الكبرى، فحرب الجمل، فموقعة صفين، فالتحكيم، وقد ظهرت في ذلك أحزاب وأحداث كثيرة.

وكان هناك انقسام موقف الرأي العام من السلطة والنظام الاجتماعي (ثورة الخوارج والقدرية) من جهة، والمرجئة من جهة ثانية، والمعتزلة (بقولهم المنزلة بين المنزلتين) من جهة ثالثة.

وكان هناك الانقسام الطبقي الذي حتمته طبيعة المجتمع العربي الذي صار منفتحاً متعدد الحاجات والرغبات والمصالح والخدمات بفعل الآفاق الجديدة التي هيأها الاسلام للعرب (ص ٥٦).

وكان هناك الانقسام العنصري أو ما يسمى بحركة الشعبية والصراع بين الكتاب العرب والأعاجم.

إن التمايز الطبقي والاضطراب السياسي والانقسام القومي والديني سمات عامة تطبع المجتمع الاسلامي عموماً ومجتمع القرن الثالث على وجه الخصوص، هذه السمات أدت إلى ضعف السلطة المركزية؛ كما أن سوء الأحوال الاقتصادية التي أن منها المعدومون قبل غيرهم قد صعدت من سخطهم وتذمرهم ودفعت بهم للانضمام إلى كل حركة تنشُد الإصلاح وتدعيه (ص ٥٩).

من خلال ذلك يخرج المؤلف بالاستنتاج الهام والخطر الآتي: إن ظاهرة التجزؤ السياسي قد رافقت الدولة الاسلامية منذ قيامها وهي عندي تكمن في طبيعة المجتمع الاسلامي وريث التكوين القبلي العربي وفي مطاطية النظام الجديد ودعوته الشمولية وأهدافه الأممية، مما استدعى وجود عناصر وشعوب متعددة تتعصب لوجودها وانتمائها القومي كما تتعصب لارتباطها الاسلامي (ص ٥٩).

تمثلت ظاهرة التجزؤ والانقسام في العصر العباسي بنشوء دويلات عربية في الغرب كدولة الادارسة والأغالبة والطولونية والحمدانية، كما نشأت إمارات أخرى في الشرق معظمها غير عربي كإمارة الطاهريين والصفاريين والسامانيين والبهمنين والغزنويين.

أضف إلى ذلك أن المجتمع الاسلامي بعد التوسع والفتوح والامتزاج بالحضارات الاجنبية قد أصبح أكثر عصرية وتعقيداً مما اقتضى بروز مسائل جديدة لم يكن يعرفها المسلمون الأوائل وليس لها من سابقة يقيسون عليها، لذلك ترك البت فيها إلى مبدأ الاجتهاد، كل يفتي وفق ما يميله عليه اجتهاده، فكان الاختلاف المذهبي الذي تشعب وتعمق بمضي الزمن والتطور (ص ٦٠).

هنا يقفز المؤلف إلى الاستنتاج الخطير الآتي «بالنسبة للمجتمع الاسلامي فإنه مع وجود الاسلام كنظام له نظريته الاصلاحية فإن هذا المجتمع لم يخل من نواقص وعيوب أدت إلى تجزئة وحدته ومرد ذلك في رأيي أن مبادئ الاسلام

ظلت نظرية لم تجد تطبيقاً لها طوال العصور الاسلامية المختلفة خلال فترة التكوين فالنظام السياسي في العصرين الأموي والعباسي وراثي انقلابي يفتقر إلى الديمقراطية وإلى مبدأ الشورى الذي أقره الاسلام» (ص ٦١).

يعالج الفصل الثالث عوامل تدمير الرأي العام. فيصنفها المؤلف إلى ثلاثة: العوامل الاقتصادية وفيها يتحدث عن اثر الغلاء، وارتفاع الاسعار. وينقل عن ابن الجوزي^(٢) انه لما حاصر اسماعيل بن يوسف الذي يدعي النسب إلى الامام علي (رضي) مكة سنة (٢٥١ هـ - ٨٦٥ م.) «هلك أهلها جوعاً وعطشاً، فبيع الخبز الثلاث أواق بدرهم واللحم الرطل بأربعة، وشربة الماء بثلاثة دراهم». ويقدم أمثلة عن الفاقة وندرة الأقوات وعن تأخر الأرزاق وشغب الجند «هذه الشكوى المتكررة التي لم يخل منها عهد من عهود بني العباس في القرن الثالث الهجري كانت ظاهرة عامة تنشذ الاصلاح وتحسين الاوضاع الاقتصادية أول الأمر وإذا لم تجد لها اذنأ صاغية تلجأ إلى أساليب العنف، وفي بعض الاحيان إلى تغير مواقع السلطة كخلع الخليفة، أو تنحية الوزير، كما أن هذه الشكوى لا يمارسها معارضو السلطة وحدهم، بل قد تصدر من جند الخليفة نفسه، كما حدث سنة (٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م.) (ص ١٣١).

بعد ذلك يعالج المؤلف العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية، ويقف بصورة خاصة أمام عامل التدمير من النفوذ الأجنبي. فالمجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري - القرن التاسع الميلادي - ضج بعناصر رئيسة ثلاثة هم العرب والفرس والأتراك، ومع أن التراث الاسلامي كان مشتركاً بينهم، كل منهم يفخر به علناً فإن لهم أطماعاً وأحلاماً قومية يعملون للوصول إليها سراً (ص ١٣٥). وبعبارة أخرى رأي عام اسلامي يضم في ثناياه آراء متباينة عربية وأجنبية، وكل يبدي تدمراً ويحاول السيطرة والتسلط على حساب العنصر العربي (ص ١٣٥).

ويعزو المؤلف انحلال النظام الاداري إلى أمرين أساسيين. الأول هو طرق

(٢) ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ - ص ٢٦.

التولية والعزل (لقد جعل بنو العباس الوظائف الحساسة كالوزارة في الفرس مكافأة لهم لدورهم البارز في قيام الدولة العباسية. ص ١٤٤). وحين تسلط الأتراك في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري ضعف مركز الوزارة وانتقلت السلطة الفعلية إلى الجيش (ص ١٤٥).

وفي إشارة إلى دور الرشوة، نقل الأبيات المعبرة الآتية عن الفخري^(٣):

وزير لا يمل من الرقاعة	يولي ثم يعزل بعد ساعة
ويدي من تعجل منه مال	ويبعد من توسل بالشفاعة
إذا أهل الرشا صاروا إليه	فأحظى القوم أوفرهم

أما الأمر الثاني فهو أساليب جباية الضرائب. لقد وجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في الظلم الفادح الذي أثقل كاهل الفئات الكادحة سبيلاً لاستقطاب تأييد الرأي العام، كالذي حصل في حركة الزنج والقرامطة والبابكية وغيرها (ص ١٥١).

وفي القسم الأخير من هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الفتن والازمات بشقيها السياسية الاجتماعية، والفكرية الدينية.

أول هذه الفتن هي الفتنة بين محمد الأمين وأخيه عبدالله المأمون على أمر الخلافة، فقد رافق هذه الوحشة نزاع قومي بين العرب والفرس، وانقسم الرأي العام العباسي إلى فريقين. فريق يؤيد الأمين وجله من العرب من أهل بغداد، وفريق آخر مع المأمون وجله من الفرس من أهل خراسان. (ص ١٥١).

وشهد القرن الثالث الهجري حركة بابك الخرمي التي نضمت عليها جماعة العامة وجمهور المسلمين في بغداد وخارجها ووجدوا فيها خروجاً على الدين وضرباً من الكفر (ص ١٥٨) واعتبرها العرب رغبة في إعادة ملك فارس (ص ١٥٨) ..

(٣) الفخري، الآداب السلطانية - ص ٢١٥.

وتعاطفت مع هذه الحركة أمم أخرى من غير العرب ولا سيما الفرس ووجدت فيها خلاصاً من الحكم العربي يتيح لهم إعادة أمجادهم السالفة (ص ١٥٩) ورأت فيها الامبراطورية الرومانية عامل هدم وضعف للدولة العباسية وفرصة قد تمنحهم النصر والغلبة وحصر المد الاسلامي (ص ١٥٩).

وشهد القرن الثالث للهجرة أيضاً حركة الزنج التي استأثرت باهتمام الرأي العام الاسلامي مدة تزيد على أربع عشرة سنة (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م). وقد دعا لها علي بن محمد الذي عمد إلى راية كتب فيها بحمرة وخضرة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واتخذها شعاراً له (ص ١٦١).

وشهد الحركة القرمطية. وقد بالغ القرامطة في فرض الضرائب العديدة على اتباعهم التي كانت تحمل إلى «بيت الجماعة وتوزع منه الأموال على المحتاجين من القرامطة حتى لم يبق منهم فقير» (ص ١٦٤).

أما أهم المنازعات الفكرية والدينية التي أشار إليها المؤلف فهي «محنة القرآن» التي بدأت في عهد المأمون واستمرت في أيام المعتصم والواثق إلى أن نهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجدل في الكلام. كان للمناظرات نتائج سلبية أدت إلى انقسام الرأي العام الاسلامي وظهور المجادلات الكلامية والمنازعات الدينية (ص ١٦٥).

ومن المنازعات الفكرية أيضاً موقف السلطة العباسية من العلويين، وقد حاول المأمون ارضاءهم والتقرب إليهم عندما عهد بالخلافة من بعده إلى علي ابن موسى الرضا في حين أن المتوكل قد جاهرهم العداء ونكّل بهم (ص ١٦٩). يتناول المؤلف في الفصل الخامس موقف الرأي العام الاسلامي من المؤسسات الرسمية، وتحديدًا من الخلافة والقضاء.

بالنسبة للخلافة يؤكد المؤلف أن الخلافة الراشدة لم تخرج عن مبدأ الشورى الاسلامي والرضا الجماهيري المتمثلين في البيعة الخاصة والعامة، إلا أن الخلاف بشأنها قد احتدم في العهد الأموي لما استحدث الأمويون نظام التوريث الذي

أضعف الدولة وقسم الأمة بين مؤيد ومعارض، ومعارض متطرف يعوم الخلافة لكل الناس أنى كانت طبيعتهم التي ينتمون إليها كما يقول بذلك الخوارج (ص ٨).

بعد الفترة الراشدة خرجت الخلافة من إطارها الاختياري الذي يستلزم بيعة الأمة ورضائها إلى ملكية وراثية تستند على نظام التوريث الذي ادخله معاوية بن أبي سفيان (ص ١٧٤).

استندت الخلافة العباسية إلى نظرية الحق الملكي المقدس The Divine Right of Kings أي الحكم بتفويض من الله لا من الشعب وهي نظرية أدخلها الفرس وقد تمثلت بقول المنصور: إنما أنا سلطان الله في أرضه (ص ١٧٦).

أصبحت الخلافة في القرن الثالث الهجري في نظر الكثيرين من الناس مجرد منصب إسمي لا سلطة فعلية له قابل للتغيير والتبدل من وقت لآخر تبعاً لمشيئة الأمراء الأتراك أصحاب النفوذ الحقيقي وليس للخليفة إلا مظاهر السلطة الدينية (ص ١٥٦). هذه المظاهر الجديدة التي استحدثت كنظام الوراثة ومظاهر الترف والبلذخ والأبهة ودخول العنصر الأجنبي في الحياة العامة «والمظهر الأخير في نظري أهم كل المظاهر فعالية (ص ١٧٦) كان لها دور بارز في احتدام الصراع العنصري وفي قيام الفتنة بين الأمين والمأمون».

وينقل المؤلف عن ابن كثير^(١) وصفه لبغداد سنة (١٩٧ هـ - ٨١٢ م). قائلاً: «والناس في بغداد في قلاقل وأهوية مختلفة وقتال وحريق وسرقات وساءت بغداد فلم يبق فيها أحد يرد على أحد كما هي عادة الفتن». وفي ذلك قال أحد الشعراء:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زماناً قرّة العين

ويروي المؤلف في هذا الفصل كيف أن الخلافة أصبحت ألعوبة بيد الأمراء الأتراك يولون ويعزلون من شاءوا (ص ١٨٣).

(٤) ابن كثير ج ١٠، ص ٢٣٨.

أما بالنسبة للقضاء، فإن المؤلف يؤكد أن القضاء الذي حافظ على هيئته واستقلاله بعيداً عن السياسة وميول الحاكمين زمن الراشدين، وفي عهد بعض الخلفاء الأمويين استجذت عليه في العصر العباسي أمور كثيرة منها تأثره بالسياسة وابتعاده عن روح الاجتهاد في الاحكام وذلك لظهور المذاهب، فكان القاضي في العراق يحكم وفق مذهب أبي حنيفة، وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك، وفي مصر وفق المذهب الشافعي (ص ١٨٩)

مع ذلك تميز العصر العباسي بأمرين:

الأمر الأول ابتداء منصب قاضي القضاة الذي يشبه إلى حد ما منصب وزير العدل اليوم، الأمر الثاني توسيع سلطة القضاة. وكان لكل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة (ص ١٨٩) مع ذلك اتسم الموقف من القضاء بالنقد اللاذع الساخر «إذ فقد قدسيته وأصبحت أحكامه عرضة للأهواء والرغبات وسخر منه الرأي العام الاسلامي» (ص ٩). ويقدم المؤلف مجموعة من الحكايات والنوادر والاشعار والايخبار تصور هذا الواقع.

وينقل المؤلف عن الثعالبي^(٥)، قصة القاضي يحيى بن أكثم قاضي المأمون الذي كان متهماً بحبه للعلماء. فيقول: انه كان إذا رأى غلاماً يفسده وقعت عليه الرعدة وسال لعبه وبرق بصره وكان لا يستخدم في داره إلا المرد الملاح ويقول: «قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أضاف عليهم العلماء في حال رضاه عنهم لفضلهم على الجوّاري فما بالي لا أطلب هذه الزلفى والكرامة في دار الدنيا معهم».

هذا الشذوذ كان مدعاة لسخرية الرأي العام الاسلامي لشيوع صيته في أكثر بقاع الدولة (ص ١٩١).

في الفصل الخامس والأخير من الكتاب يحدد المؤلف مراكز تجمع الرأي العام في بغداد.

(٥) الثعالبي - ثمار القلوب. ص ١٥٦.

أول هذه المراكز هي السجون، وأشهرها سجن المطبق الذي يعتبر من أكبر أماكن تجمع الرأي العام في العصر العباسي لكثرة من فيه من السجناء الذين ضاق بهم في بعض الفترات على سعته (ص ٢٠٤). وفي زمن الخليفة المعتصم بنى حبس في بستان موسى بسامراء، وكان لا يسجن فيه إلا من عظم أمره وكبر جرمه وخاصة الخصوم السياسيون (ص ٢٠٦). ومن السجون المعروفة كذلك سجن باب الشام (نسبة إلى موقعه في بغداد).

لم تكن السجون مأوى للصوص والمجرمين فقط. فقد كان لسوء الأحوال الاقتصادية أثر في انتشار التعامل بالدين والتسليف، كما أدى تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية إلى تفشي الرشوة والمحسوبية والاختلاس لذلك أصبحت الديون والمصادرات سبباً يؤدي إلى السجن (ص ٢٠١).

والسجن كان عقوبة للسياسيين أيضاً «وندر من نجا من الوزراء ولم يسجن وربما قتل ولم يحبس» (ص ٢٠١).

وإذا ما جاهر أحد بشتيم الرسول أو الأئمة وادعى الإلحاد وعاب الأديان فإن مصيره السجن وقد يقتل إذا ما ثبت كفره والحاده بعلم ورضى الرأي العام الاسلامي (ص ٢٠٢).

ولما تشدد المأمون ومن جاء بعده.. في محنة خلق القرآن، أصبح ذلك بيد الخليفة وبطانته لحبس وتعذيب من يخالف هذا الرأي الذي يمثل هوى السلطة آنذاك، فقد حبس الإمام أحمد بن حنبل زمن المأمون والمعتصم وتعرض لتعذيب قاس إلى أن فقد وعيه تحت تأثير السياط (ص ٢٠٣).

ولعل أكثر خلفاء بني العباس عناية واهتماماً بالسجون وإصلاح حالها هو المنتصر بالله، فقد خصّص لها في ميزانيته ١٥٠٠ دينار في الشهر «وعين لهم أطباء كانوا يدخلون على المساجين ويحملون الأدوية والأشربة ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى كما جعل لهم ديواناً خاصاً تكتب فيه قصصهم في دفاتر خاصة يرجعون إليها دائماً» (ص ٢١٣).

بعد السجون تشكل الأسواق مركز تجمع دائم للرأي العام. والأسواق عند

العرب لم تقتصر على البيع والشراء بل اشتهرت بكونها مجتمعات تعقد فيها العقود والمعاهدات والاتفاقات ومواقع يعلن فيها كل ما له أثر بالجماعة وساحات محاكم . . . ومراكز يتجمع فيها الرأي العام قبل الاسلام (ص ٢١٤).

بتطور العرب . . . تعددت هذه الأسواق . . . وقد تفوقت بغداد على سواها من المدن الاسلامية بكثرة أسواقها لتمتعها بمركز سياسي مرموق باعتبارها حاضرة الدولة العباسية ولموقعها الاستراتيجي الذي جعل منها محطاً لأنظار القريب والبعيد والخاص والعام من الناس (ص ٢١٥). شهدت أسواق بغداد وخاصة أسواق الكرخ أحداثاً جسيمة وحركات شغب كثيرة (ص ٢١٦). وانتشرت في بغداد أسواق لها تسميات بحسب ما يباع فيها وهي ما يمكن أن ندعوه بالأسواق المتخصصة كسوق اللحم التي تعرض فيه الماشية، وسوق القصابين، وسوق دار البطيخ، وهناك أسواق بأسماء بعض أيام الاسبوع، كسوق الثلاثاء في بغداد بالجانب الشرقي (ص ٢١٨) وقد تجمع فيه جند أحمد بن الموفق لما دخل بغداد برأس صاحب الزنج . . . ووجدت في بغداد سوق خاصة لبيع النبيذ ومنهم من يبيع فيها الدواء فكان الناس يؤمنون هذا السوق لشرب النبيذ بحجة شراء الدواء (ص ٢٢٠).

ومما يتميز به القرن الثالث الهجري انتشار الرقيق بأعداد كبيرة كظاهرة اجتماعية ورافق ذلك وجود أسواق خاصة في المدن لعرض وبيع وشراء هذا الرقيق وقد سميت بأسواق النخاسين (ص ٢٢١). كانت هذه الأسواق مراكز لتجمع الرأي العام منهم الشاري والبائع والعارض والمناادي والمتفرج، ومنهم الساخط، الذي وجد في هذه التجارة مأساة انسانية (ص ٢٢١).

إلى جانب الاسواق العمومية لبيع الرقيق هناك أسواق أخرى صغيرة توجد عادة في الدور والمنازل الخاصة (ص ٢٢٢).

تميزت أهمية الأسواق كمراكز لتجمع الناس من خلال أحداث الزنج (ص ٢٢٣).

ومن مراكز تجمع الرأي العام أيضاً المساجد. فمنذ ظهور الاسلام أصبح

المسجد أقدس مكان للعبادة وأفضل مركز لإدارة شؤون الدولة السياسية والاجتماعية أيام الحرب والسلام (ص ٢٢٥). وقد استمر المسجد في القرن الثالث الهجري مركزاً لتجمع الرأي العام الاسلامي في العبادة وعند الازمات والشدائد ، ومنبراً يدعى الناس فيه للجهاد والولاء والنصيحة والموعظة الحسنة (ص ٢٢٧)، وتعليمهم أمور دينهم وإلى ما يراد منهم فعلة محاربة للباطل والمنكر والأوضاع الشاذة (ص ٢٢٨).

ومن أبرز مساجد بغداد، جامع المنصور، وجامع الرصافة وجامع القطيعة وجامع براءا. وينقل المؤلف عن ابن بطوطة^(٦) قوله ان ببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً (ص ٢٣١).

إضافة إلى ذلك هناك الأماكن التي يتردد الناس عليها في المناسبات والاعمال اليومية من هذه المراكز الحمامات التي وجد منها الكثير في بغداد وخارجها، ومجالس المناظرة والمناقشة والجدل بعد أن أظهرت محنة القرآن وتباينت الفرق والمذاهب الاسلامية، والمكتبات التي انشأها بعض الخلفاء كدار الحكمة، أو بيت الحكمة في بغداد (ص ٢٣١).

وتأتي الاعياد الدينية في مقدمة المناسبات المفرحة التي توفر للناس فرحة الاجتماع في المسجد لاداء صلاة العيد.. حيث يتعارف المصلون (ص ٢٣٢) وهناك حفلات الزواج وما يرافقها من ولائم ودعوات ومجالس طرب وغناء، ويلاحظ على هذه الولائم كونها مركزاً لتجمعات الطبقة الخاصة دون العامة التي تنصور جوعاً (ص ٢٣٢).

ومن المراكز التي شهدها القرن الثالث الهجري مجالس المناظرة والمناقشة التي عقدت بأمر الخلفاء أنفسهم. وقد ظلت الأماكن الدينية كالعتبات المقدسة ومقابر الأئمة والصالحين من أهم المراكز التي ازدهم فيها الناس (ص ٢٣٤).

(٦) رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ١٤٠.

ويكتظ الناس حول الجنائز ومدافن الموق. وتعتبر جنازة أحمد بن حنبل من أشهر جنائز القرن الثالث الهجري لكثرة من حضرها من الناس. وقد قدر ابن خلكان^(٧) عددهم بثمانمائة ألف من الرجال وستون ألف من النساء.

(٧) ابن خلكان - وفيات الأعيان، ج ١ - ص ٤٨.